وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية الاداب
القسم: المعلومات والمكتبات

المادة : المخطوطات العربية
المرحلة: الرابعة
المحاضرة رقم (7)

عنوان المحاضرة

الملامح المادية للتراث العربي المخطوط(1)

إعداد: م.لبنى قاسم محمد رؤوف الهاشمي

قبل البدء بدراسة المخطوطات العربية وفهرستها لعل من الضروري التعرف على الخصائص المميزة لهذه المخطوطات وتبيان الملامح المادية لها لما في ذلك من أهمية لعملية الفهرسة. وقد كتب عدد من الباحثين في هذا الموضوع ، وقد ذكر هؤلاء الباحثين ان النسّاخ والكتّاب من العرب القدامى اعتنوا بالشكل العام للكتاب المخطوط ، إضافة الى اهتمامهم بالترتيب العلمي له وتوثيق معلوماته ، وكل ذلك لاجل اخراج المخطوط في النهاية على صورة رائعة متكاملة من كافة جوانبها. واتبعوا عند تدوينهم الكتاب أساليب وطرائق فنية وعلمية اضفت على الكتاب العربي سمات متميزة وبدأت بدايات بسيطة ثم تطورت مع التطور الزمني لعمر الكتاب العربي وخلال عصوره الطويلة ، وقد سار معظم الكتّاب والنسّاخ في العصور المتأخرة على اتباع طرائق شبه مقننة في ترتيب وتنظيم وإخراج المخطوط ، مع اختلافات تقتضيها طبيعة المخطوط وخلفيات النسّاخ.

وفيما يأتي اهم الطرائق والأساليب العامة التي اتبعها الكتّاب والنسّاخ في اغلب المخطوطات العربية التي وصلتنا والتي تضمها خزائن الكتب في العالم :

1- **صفحة العنوان :** لم يعرف العرب صفحة العنوان بشكل مستقل في صفحة منفردة اول عهدهم بصناعة الكتب المخطوطة. كما هو شائع في المطبوعات الحديثة ، وكان العنوان يأتي في مقدمة المخطوط او في نهايته ، وكان من عادة النسّاخ ان يبدأوا الكتابة على ظهر الورقة الأولى للمخطوط ، ويتركوا وجهها خالياً من الكتابة. ولعل السبب هو حرصهم على حماية النص من التلوث لكثرة التداول الى ان يتم تجليد المخطوط. وفي العصور المتأخرة نلاحظ ان اغلب المخطوطات تتبع ترتيباً متقارباً. فأحياناً يضيف ناسخ الكتاب ، العنوان ومؤلف الكتاب على الصفحة البيضاء ، وغالباً ما ينسخ الكتاب دون إضافات. ثم يضيف ناسخ اخر العناوين. عند هذا سيكون الزمن قد تأخر والخط اختلف ، نظراً لاختلاف الناسخ. إضافة الى كتابة بعض الفوائد او التملكات او الوقف او حبس الكتاب والاجازات والسماعات وغيرها من المعلومات.

2- **الاستهلال او (بداية المخطوط) :** في اول المخطوط تكون البداية (بالبسملة) تيمناً بمنهج كتاب الله العزيز وتبجيلاً لاسم الله تعالى ثم الحمدله (الحمدلله) و(الصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى اله وصحبه) ثم يأتي المصنف بعد ذلك بمقدمة تسمى (خطبة الكتاب) او (ديباجة الكتاب) بادءاً بذكر اسمه ، ثم العنوان الذي اختاره لكتابة بعد كلمة (وسميته) ، ثم يشرح الغرض من تأليفه الكتاب ومحتوياته ، وفي بعض الحالات الشخص الذي اقترح عليه تأليف الكتاب. وهناك ظاهرة أخرى نجدها في بعض المخطوطات هي

ان الناسخ (وليس المؤلف) يبدأ بكتابة البسمله والحمدله وبعض الادعية ثم يكتب : (قال الشيخ ... او قال المصنف ....) مقترناً اسمه بألقابه العلمية وعبارات المدح والتعظيم ، متبوعاً بالدعاء له ان كان حياً او الترحم عليه ان كان ميتاً.

ومما سبق يتضح ان الاستهلال في المخطوطة يؤدي الى ثلاثة أغراض :

أ- صفحة العنوان : ومنه نعرف اسم الكتاب واسم مؤلفه.

ب- مقدمة الكتاب.

ت- محتويات الكتاب ثبت المحتويات.

ومن هذه المعلومات التي يستهل المؤلف كتابه بها يمكن الاستدلال على تاريخ المخطوطة ، لان اغلب المؤلفين يحاولون مجاراة المدة التي يعيشون فيها.

3- **خاتمة المخطوط (نهاية المخطوط) :** اعتاد اغلب المؤلفين وممن في حكمهم الشارحين والمترجمين اختتام كتبهم بعبارة مناسبة تدل على اكتمال النص وتمامه ذاكرين تأريخ الانتهاء من تأليف الكتاب ، إضافة الى (الحمدله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه واله وصحبه وسلم). هذا فيما يخص النهاية التي يضعها المؤلف لكتابه ، وتليها نهاية الناسخ وتتضمن العنوان ، المؤلف ، الناسخ ، تاريخ النسخ واحياناً مكان النسخ ، الا انها لا تخلو في اغلب الحالات من عبارات الدعاء التقليدية. وفي حالة الأجزاء المتعددة للكتاب الواحد فأن الناسخ في الصفحة الأخيرة من كل جزء يدلي بعبارة تدل على انتهائه وبداية الجزء الذي يليه.

وفي اغلب المخطوطات التي وصلتنا من العصور المتأخرة فتكتب هذه الخاتمة على شكل مثلث مقلوب هكذا ∇ قاعدته الى الأعلى ورأسه الى الأسفل ، حتى وان لم تذكر عبارات النهاية فالشكل يدل على ذلك.

4- **عناوين الأبواب والفصول :** في البدايات الأولى لتدوين المخطوطات العربية كان المؤلفون يدرجون المعلومات في اول الكتاب الى اخره كتلة واحدة دون تقسيمها الى فقرات او فواصل للدلالة على فكرة جديدة في كل فقرة ، كما هو الحال في الكتب الحديثة في عصرنا.

وبمرور الزمن وتطور المخطوطات اخذت عناوين الأبواب والفصول بالظهور في الكتاب العربي ، وذلك بكتابة كلمة (فصل) في بداية الحديث عن موضوع معين في النص. وبعد ذلك بدأ المؤلفون والنسّاخ يكتبون عناوين الأبواب والفصول بشكل واضح ومتميز عن المتن ، واتبعوا في ذلك عدة طرائق منها : كتابتها بخط ضخم يختلف عن المتن في النوع والحجم ، وغالباً كان يستخدم خط الثلث في كتابتها ، او تمييزها عن لون المداد الذي يكتب به المتن ، وعادة ما يكون الأحمر.

5- **الهوامش :** اعتاد النسّاخ العرب القدامى على ترك مساحات اربع بيضاء متساوية تحيط بالمتن في صفحات المخطوط ، وهو ما يطلق عليه بالهوامش او الحواشي ، وجرت عادة النسّاخ ان يكتبوا النص في سطور متساوية في المخطوط الواحد ، وذلك لتوازي بدايات ونهايات السطور ، ولتساوي عددها في الصفحة الواحدة ، وتأتي هذه المساحات متناسبة مع حجم صفحات المخطوط.

وبمرور الزمن اخذ قراء الكتب المخطوطة على كتابة تعليقات وحواشي وتقريرات على هوامش المخطوطات اثناء قراءته مما يعتبر احياناً تأليفاً جديداً ، حتى ان بعض

المخطوطات تضم اكثر من كتاب في مجلد واحد : كتاب او كتابات في المتن ، وكتاب او كتابات على الهامش. ولعل السبب يعود الى الاقتصاد في الورق لارتفاع أسعاره في تلك الأيام. ووجود الهوامش في الكتاب المخطوط تدل دلالة واضحة على ان مؤلفه الأصلي قد عاش في مدة متقدمة عن أصحاب الهوامش ، بما يساعد على تحديد تاريخ تأليف الكتاب.

6- **مسطرة المخطوط :** من الملاحظ بصورة عامة انه لم يكن للمخطوط العربي معدل ثابت لعدد السطور في الصفحة الواحدة ، وقد يختلف العدد من صفحة الى صفحة في المخطوط الواحد ، وكانت الصفحات تقسم وتنظم بواسطة المساطر الى اسطر متساوية الابعاد وتترك بياضات من الهوامش التي تحيط بالمتن تتناسب مع حجم المخطوط وجمالية الكتاب وحسب اجتهاد الكاتب في السعة والضيق ، كأن يترك بياض مناسب من بداية المخطوط قبل البسملة. كما نلاحظ حرص النسّاخ والكتّاب بإخراج المخطوط بصورة فنية جميلة وذلك بإستخدام طرائق وأساليب متنوعة لهذه الغاية ، ومنها الحرص على استواء السطور واستقامتها وتوازيها في الصفحة الواحدة ومن ثم صفحات المخطوط كلها ، كما نلاحظ ان بعض النسّاخ يؤطرون الصفحات في بعض الحالات.

7- **علامات الترقيم :** وهي الفواصل بين الجمل. وقد اختلفت العلامات التي نستخدمها اليوم عن العلامات التي استخدمها النسّاخ في العصر الأول للتدوين. فنحن اليوم نستخدم النقطة للفصل بين العبارات والجمل. وهو ما اخذ يستخدمه النسّاخ في نهاية عصر التدوين وقبل بداية عصر الطباعة. وكانوا قبل ذلك قد استخدموا الدائرة ʘ للفصل بين عبارتين ثم تدرجت فأصبحت الدائرة منقوطة ʘ، ثم دائرة تخرج من اعلاها شرطة ʘ̄ ، ودائرة تخرج من اسفلها شرطة وتبدو بشكل حرف الهاء ʘ̲ ، ثم الدائرتين المتلاصقتين ꝏ.

وفي البدايات الأولى ظهرت فواصل الايات التي كانت تتخذ في كتابة المصاحف اشكالاً فيها دقة وروعة واستخدمت في رسمها وزخرفتها نماذج هندسية وزخرفية ونباتية مذهبة.

8- **الاختصارات :** ويقصد بها حروف مختصرة تدل على الكلمات التي يكثر تكرارها في النص. وقد اصطلح الكتّاب والنسّاخ العرب ، لا سيما كتّاب الحديث والتاريخ على اختصار الكلمات التي تتكرر كثيراً في النص وذلك توفيراً للوقت واختزالاً للمسافة ، الا في اختصار الصلاة على النبي (صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم) فقد كان ذلك مكروهاً عند المسلمين وخاصة في المخطوطات في العصور الأولى. ومن هذه الاختصارات الشائعة قديماً : ثنا = حدثنا، انا = اخبرنا، دثني = حدثني، تع = تعالى، أه = انتهى، رح = رحمه الله، الخ = الى اخره، كما اختصر الأسماء المشهورة مثل : م = مسلم، خ = البخاري، د = أبو داود، ن = النسائي، هـ = ابن ماجه، قط = الدار قطني.